فصل الخطاب في قضية السحر

على ضوء الكتاب والسنة

د.عبد المنعم محمد فرح رباح
الاستاذ المساعد فى التفسير وعلوم القرآن
بكليه أصول الدين والدعوة بشبين الكوم

مقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد النبى الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد . . .

إن من نعمة الله علينا نحن — المسلمين — أن جعل لنا الإسلام دين حقائق لا دين خرافات وأباطيل . وقد علمنا الحب والتآخى والتآلف وكل المشاعر الطيبة التى تنبع من الإيمان الذى حببه إلينا الله وزينه فى قلوبنا . وقد بغض الله إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، وكل مايؤدى إلى هذه الخصال المرذولة ، ومما يؤدى إلى الوقوع فيها السحر ، وقد بغضه الله إلينا ونفرنا منه ، ولكن فريقا من الناس الذين حجب الله عنهم نور الإيمان لايقيمون للدين وزنا وهدفهم إيذاء الناس والإضرار بهم وسلوك كل وسيلة تحقق لهم ذلك وكأنهم لم يسمعوا الأثر الكريم [لاضرر ولاضرار] وهؤلاء هم السحرة الأشرار الذين يفرقون بين المرء وزوجه ،وينشرون بكيدهم الفزع والخوف فيمن يترددون عليهم ، وسلاحهم فى ذلك المكر والدهاء وهدفهم التغرير بالبسطاء ،يجتذبون إليهم النساء والرجال ،ويبتزون منهم الأموال .

ومن العجيب أن ينتشر مثل هؤلاء السحرة والدجالون فى وطننا الإسلامى، وأن يكون لهم نشاط غامض فى مدنه وقراه، وهذه ظاهرة مؤسفة تدور فى خفاء وتسكم بأساليب غامضة، ومعالجات مثيرة، ومازال العالم الإسلامى يتعرض لموجات متلاحقة من الغزو الفكرى، يتراءى لنا بعضها فى تلك الوثنيات الجديدة، والشعوذات القديمة واستغلال حسن ظن الناس وفطرتهم البريئة، ودور علماء الإسلام هام وضرورى فى غرس العقيدة الطاهرة السليمة، وهى عقيدة الإسلام البعيدة عن الخرافات والشعوذات فى نفوس الناس .

وقد اخترت أن يكون موضوع هذا البحث قضية السحر، فى ضوء الكتاب والسنة آملا أن أستطيع بتوفيق الله تعالى أن أعرض آراء علماء الإسلام فى كل مايتعلق بموضوع السحر من مسائل، وأن أرجح منهـــا مايستحق الترجيح . وأسأل الله التوفيق فى بلوغ هذا الهدف فهو نعم المولى ونعم النصير،

وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور

عبد المنعم ممدوح رماح

للسحر فى اللغة : السحر مصدر سحر يسحر سحراً . ولا يوجد مصدر لفعل يفعل على وزن فعل إلا هذا(١) فهو مصدر شاذ .

وقال الأزهرى : وأصل السحر صرف الشيء عن غير حقيقته إلى غيره، فكان الساحر لما أرى الباطل فى صورة الحق خيل الشيء على حقيقته(٢). وقد سحر الشيء عن وجهه ، أى صرفه .

قال الجوهرى : كل مالطف ودق فهو سحر يقال : سحره أبدى له أمراً يدق عليه ويخفى ، ويقال سحره — خدعة(٣) .

ومنه قول امرىء القيس :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب
عصـــافير وذبان ودود وأجرأ من مجلحة الذئاب

أى نغذى ونخدع(٤) .

وقال الجوهرى أيضاً : والسحر الأخذة وكل مالطف مأخذه ودق فهو سحر وسحره بمعنى خدعه .

وقال القرطبى : السحر : قيل أصله التمويه بالحيل والتخاييل وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعانى فيخيل للمسحور أنها بخلاف ما هى به .

كالذى يرى السراب من بعيد فيخيل إليـــه أنه ماء . وكراكب

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان جـ ١ ص ٣١٩
(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٢ ص ١٩٥٢
(٣) البحر المحيط جـ ١ ص ٣١٩
(٤) لسان العرب جـ ٢ ص ١٩٥٢

السفينة السائرة سيراً حقيقياً يخيل إليه أن ما يرى من الأشجار والجبال سائرة معه .

وقيل : هو مشتق من سحرت الصبي إذا خدعته وكذلك إذا عللته ، والتسحير مثله .

قال لبيد :

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر(١)

وقال الألوسي : السحر فى الأصل مصدر : سحر ، يسحر ، بفتح العين فيهما إذا أبدى ما يدق ويخفى وهو من المصادر الشاذة ، ويستعمل فيهما إذا لطف وخفى سببه والمراد به أمر غريب يشبه الخارق .

وفى الحديث : « إن من البيان لسحرا » .

فسمى النبى ﷺ بعض البيان سحرا لأن صاحبه يوضح الشىء المشكل ويكشف عن حقيقته لحسن بيانه وبليغ عباراته(٢) .

وتسمية البيان الرائع سحرا هو من قبيل المجاز لا الحقيقة . فالخطيب يستميل القلوب بحسن بيانه وروعة إدائه وجمال تعبيره كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين إليه بخفته ورشاقته وتمويهه على الحاضرين ، ولذلك سمى البيان سحراً .

والسحر أيضا هى الرئة وسميت بذلك لخفائها ولطف مجاريها . ومنه حديث السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : « توفى رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى » . أى مات رسول الله ﷺ وهو مستند إلى صدرها .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١ ص ٤٣٤

(٢) تفسير الألوسي جـ ٢ ص ٣٣٨

وإذا أطلق لفظ السحر أفاد ذم فاعله ، قال تعالى : « سحروا أعين الناس» وقال تعالى « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى» . يعني موهوا عليهم حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى . وقد يستعمل مقيداً في ما يمدح ويحمد .

تعريفه شرعا : لفظ السحر في الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته .

وهو قول أو فعل يترتب عليه أمر خارق للعاده ويعتمد على وسائل من الرقى والعزائم وما أشبهها .

أنواع السحر : بين الفخر الرازى أنواع السحر ونحن نذكرها بإيجاز فنقول :

الأول : سحر الكلدانيين والكسدانيين .

وهم الذين كانوا يعبدون الكواكب السيارة ، ويعتقدون أنها المدبرة للعالم .

وهم الذين بعث إليهم الخليل إبراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا لمذهبهم .

الثانى : سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، وقد أستدل على أن للوهم تأثير في الإنسان بأنه قد يسير شخص على جسر موضوع على الأرض ولا يستطيع السير عليه إذا كان موضوعا على نهر مثلا .

ومن المعلوم أن بعض النفوس بها من القوة ما تستطيع بها التأثير في غيرها .

الثالث : الاستعانة بالجن . والسحرة يتصلون بالجن عن طريق عزائم

ورق وغالبا ما يكون فيها من الألفاظ الكفرية والأعمال المنافية للإسلام، وهم يسترون ذلك بأعمال من الدخن والتخمير وغير ذلك .

الرابع : التخيل والخداع : وذلك كما يفعله بعض المشعوذين حيث يريك أنه ذبح عصفورا ثم يركبه بعد ذبحه وقد طار وذلك لخفة حركته ، والمذبوح فى الحقيقة غير الذى طار لأنه يكون معه أثنان قد خبأ أحدهما وهو المذبوح وأظهر الآخر .

وقيل : أن سحر سحرة فرعون كان من هذا النوع .

قالوا : كانت عصيهم وحبالهم المصنوعة من جلد مجوفة، فحشوها زئبقا وحفروا تحت الموضع أسرابا ملئوها نارا فلما طرحت عليها الحبال والعصى وحمى الزئبق تحركت لأن من شأن الزئبق التمدد بالحرارة ، فخيل للناس أن هذه الحبال والعصى حيات تتحرك وتسير .

الخامس : الكهانة والعرافة بطريق التواطؤ : وذلك كما يفعله العرافون والكهان حيث يوكلون أناسا بالإطلاع على أسرار الناس حتى إذا جاء أصحابها أخبروهم بها ويزعمون أنها من حديث الجن لهم .

السادس : السعى بالنميمة والوشاية بها : وهى بلاغات وإفساد وتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك عام شائع فى كثير من الناس .

وقد حكى أن إمرأة أرادت إفساد ما بين زوجين فصارت إلى الزوجة فقالت لها أن زوجك معرض عنك وقد سحر وهو مأخوذ عنك وسأسحره لك حتى لا يريد غيرك ولا ينظر إلى سواك ولكن لابد أن تأخذى من شعر حلقه بالموس ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها فإن الأمر يتم بها ، فاغترت المرأة بقولها وصدقتها ثم ذهبت إلى الرجل وقالت له أن إمرأتك قد علقت رجلا وقد عزمت على قتلك وقد وقفت على ذلك من

أمرها فاشفقت عليك ولزمنى نصحك فتيقظ فإنها عزمت على ذبحك بالموس فما فى أمرها شك : فتناوم الرجل فى بيته ، فلما ظنت امرأته أنه نام عمدت إلى موس حاد وهوت به لتحلق من حلقه ثلاث شعرات ففتح الرجل عينه فرآها وقد أهوت بالموس إلى حلقه فلم يشك فى أنها أرادت قتله فقام فقتلها ، فبلغ الخبر إلى أهلها فجاؤا فقتلوه .

وهكذا كان الفساد بسبب الوشاية والنميمة

السابع : الأدوية وخواص الأطعمة : فبعض الأدوية لها خصائص معينة على جسم الإنسان وعقله وتؤثر فى فكره فإذا تناولها شخص تصرف تصرفا غير سليم فيقول الناس : به مس أو أنه مسحور .

الثامن : تعلق القلب بشخص معين : فقد يتعلق شخص ما بإنسان يطيعه طاعة عمياء حتى كأنه سحره .

وهذا النوع قد يرجع إلى نوع أصحاب النفوس الضعيفه وتأثير النفوس القوية عليها .

هل للسحر حقيقة وتأثير

هذه مسألة اختلف فيها العلماء . فذهب جمهور العلماء من أهل السنة إلى أن السحر له حقيقة وتأثير .

وذهب المعتزلة وبعض أهل السنة إلى أن السحر ليس له حقيقة فى الواقع ، إنما هو خداع وتمويه وتضليل وأنه من باب الشعوذة وقد أستدل الجمهور على ما ذهبوا إليه بأدلة منها :

١ — قول الله تعالى «سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم» . فقد دلت الآية على إثبات حقيقة السحر .

٢ — قوله تعالى «فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه» . فقد أثبتت الآية أن للسحر حقيقة وتأثير حيث أمكن للسحرة أن يفرقوا بين المرء وزوجه بواسطته .

٣ — قوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد إلا باذن الله» . فقد أثبتت هذه الآية الضرر للسحر ولكنه متعلق بمشيئة الله تعالى .

٤ — قوله تعالى «ومن شر النفاثات فى العقد» . فقد دلت الآية على أن للسحر أثر حتى أمرنا أن نتعوذ بالله من شر السحرة الذين ينفثون فى العقد .

٥ — وأستدلوا بما جاء فى الحديث الشريف أن يهوديا سحر النبى ﷺ وهو حديث مروى فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها . ونص الحديث الشريف كما رواه البخارى فى صحيحه :

«عن عائشة رضى الله عنها قالت : سحر رسول الله ﷺ رجل من

بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله ﷺ يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة وهو عندى لكنه دعا ودعا ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتانى فيما استفتيه فيه ؟

أتانى رجلان فقعد أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ فقال مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم قال فى أى شيء ؟ قال : فى مشط ومشاطه وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو ؟ قال فى بئر ذروان فأتاها رسول الله ﷺ فى ناس من أصحابه لجاء فقال : يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين ، قلت : يارسول الله أفلا استخرجته ؟ قال : قد عافانى الله فكرهت أن أثير على الناس فيه شراً فأمر بها فدفنت »(١) .

واستدلوا على أن للسحر حقيقة وتأثير بدليل عقلى وهو أن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوتين على تركيب مخصوص ونظير ذلك ما يقع من حزاق الأطباء من مـــزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعاً .

ومما روى أن بن عمر رضى الله عنهما ذهب إلى خيبر ليخرص ثمرها فسحره اليهود فانكتفت يده فأجلاهم عمر .

وجاءت إمرأة إلى عائشة رضى الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين ما على المرأة إذا عقلت بعيرها ؟ فقالت عائشة ولم تفهم مرادها ليس عليها شيء ،

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى جـ (٢١) صـ ٥٣٦ — ٣٧٣ طبعة الكليات الأزهرية .

فقالت إني عقلت زوجي عن النساء فقالت عائشة رضي الله عنها أخرجوا هذه الساحرة(١) .

فإن قيل كيف أثر السحر فيه ﷺ مع أن الله تعالى قال له والله يعصمك من الناس أجيب على ذلك بأنه إنما أثر السحر في رسول الله ﷺ مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس إما لأن المراد منه عصمة القلب والإيمان دون عصمة الجسد عما يرد عليه من الحوادث الدنيويه ، ومن ثم سحر وشج وجهه و كسرت رباعيته ورمى عليه الكرش والتراب وأذاه جماعة من قريش وإما لأن المراد عصمة النفس من الإفتــــلات دون العوارض لأنه ﷺ كان يحرس فلما نزلت الآية أمر بترك الحرس .

هذا وقد اختلف القائلون بأن للسحر حقيقة وتأثير في كيفية تأثير السحر ، فذهب بعضهم إلى أن تأثير السحر لا يتعدى تغير المزاج فيكون نوعاً من الأمراض .

وذهب بعضهم إلى أنه يستطاع بالسحر قلب الأعيان بحيث تنتهي إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلا أو عكسه ، والذى عليه الجمهور هو الأول ، وذهبت طائفة قليلة إلى الثاني فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فسلم وإن كان بالنظر إلى العقل فهو محل الخلاف فإن كثيراً من يدعى ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه .

وقيل أن تأثير السحر لا يزيد على ما ذكر الله تعالى في قوله « يفرقون به بين المرء وزوجه » لكون المقام مقام تهويل فلو جاز أن يقع أكثر من ذلك لذكر .

---

(١) كتاب الزواجر ص ٥٠٠

قال المازرى والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع أكثر من ذلك وقال والآية ليست نصاً فى منع الزيادة ولو قلنا أنها ظاهرة فى ذلك(١) .

أما أدلة المعتزلة على ما ذهبوا إليه فيمكن تلخيصها فيما يأتى :

١ — استدلوا بقول الله تعالى « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » فهذه الآية الكريمة تدل على أن السحر إنما كان للأعين فحسب .

٢ — واستدلوا بقوله تعالى « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » . فهذه الآية تؤكد أن السحر كان تخيلا لا حقيقة له .

٣ — واستدلوا بقوله تعالى « ولا يفلح الساحر حيث أتى » . فهذه الآية تثبت أن الساحر لا يمكن أن يكون على حق لنفى الفلاح عنه .

٤ — ومما استدلوا به أيضاً المعقول فقالوا : لو قدر الساحر أن يمشى على الماء أو يطير فى الهواء أو يقلب التراب إلى ذهب على الحقيقة لبطل التصديق بمعجزات الأنبياء والتبس الحق بالباطل فلا يعرف النبى من الساحر لأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة وأنه جميعه من نوع واحد .

ويجاب على الدليل العقلى الذى استدل به المعتزلة ومن وافقهم فى إنكار أن للسحر حقيقة وتأثير ببيان الفرق بين المعجزة والسحر فببيان الفرق بينهما يتضح أن زعم القائلين بأن السحر ليس له حقيقة أو تأثير لأنه سيؤدى إلى إختلاط السحر بالمعجزة باطل لا أساس له من الصحة ويمكن إيجاز الفرق بين السحر والمعجزة فيما يأتى :

أن المعجزة بحدودها وشروطها يمتنع ظهورها على يد الكاذب بل أنها تخالف السحر فى حقيقته وماهيتها الذى قد يظهر على يد المتنبى الكذاب ويمكن إجمال الفرق بين السحر والمعجزة فيما يأتى :

---

(١) فتح البارى حـ٢١ صـ ٣٥٢

أولا : المعجزة تكون من فعل الله تعالى وبإنجازه ، وأما السحر فيقع بفعل الساحر ومباشرة أسبابه .

ونقصد من هذا أن المعجزة تخالف السحر فى مصدرها فهى واقعة من الجانب الالهى مباشرة وليس للنبى أى مدخل اللهم إلا الطلب والدعاء قال تعالى : « وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله »(١) .

وقال تعالى « قل إنما الآيات من عند الله »(٢) .

وكثيراً ما كان المشركون يقترحون على النبى ﷺ أن يأتى بغير القرآن أو يبدله ، فيرد عليهم أن ذلك ليس من شأنه وليس فى مقدوره ، بل الله وحده هو الذى يتصرف فى الآيات بإيقاعها أو عدم إيقاعها .

قال تعالى : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى إن أتبع إلا ما يوحى إلى إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم »(٣) .

فهذه حقيقة بينه فى المعجزة بخلاف السحر فإنه يقع بفعل الساحر وبمباشرة أسبابه السحرية سواء كان بالتقرب إلى الشياطين وطلب المعونة منهم فى إنجاز سحره ، أم بواسطة خاصيات فى نفسه مع فعل أسباب من رقى وعزائم وشعبذة وغير ذلك مما هو معروف لدى السحرة ، وبهذا يظهر شاسع البون بين المعجزة والسحر ، وكيف يقف أو يبارى ما كان من فعل الله تعالى وبإنجازه وبتأييده مع ما كان من فعل الساحر الكذاب بمباشرة أسبابه وتعاطى رذائله ، فالمعجزة من فعل الله مباشرة والسحر من فعل العبد كسبا .

ثانياً : المعجزة تكون خارقة للعادة بمعنى أنها تأتى مخالفة للقوانين

---

(١) سورة الرعد ٣٨ سورة غافر ٧٨

(٢) سورة العنكبوت ٥٠ .　　(٣) سورة يونس آية ١٥

الطبيعية وخواص المادة المألوفة فى الكون ، وأما السحر فلا يكون خارقاً للعادة الكونية المألوفة والمـــراد من هذا أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون ورتبه ونظمه وأودعه سننا ثابتة لا تتغير ولا تتبدل إلا لمن سنها وفطرها فلا يقدر الخلق على تغير سنة الله الثابتة فى الكون ، فإذا أراد الله جلت قدرته أن يؤيد رسلة بالمعجزات جاءت مباشرة من غير إعتماد على تلك السنن والقوانين الطبيعية . فهى بالتالى خارقة لها ومن هنا صح تسميتها بخوارق العادات وإنما وقعت المعجزة على هذا الوجه الخارق لأنها بمثابة الشهادة على الدعوة فوجب أن تكون مخالفة للمألوف عند العباد، ولكن السحر لا يكون خارقاً بهذا المعنى . أى أنه لا يخرج عن قوانين الطبيعة وسنن الحياة ، فهو بالتالى أمر طبيعى لا يخرج عن مقدور العباد ، وإن كان قد يسمى خارقا للعادة فهو من باب التجوز لا الحقيقة .

يقول ابن تيمية : ولما كان الذين يعارضون آيات الأنبياء من السحرة والكهان لا يأتون بمثل آياتهم بل يكون بينهما شبه كشبه الشعر بالقرآن(١) .

ويقول الألوسى : والسحر فى الأصل مصدر سحر — يسحر — بفتح العين فيهما إذا أبدى ما يدق ويخفى ، ويستعمل فيما لطف وخفى سببه ، والمراد به أمر غريب يشبه الخارق وليس به ، وإذ يجرى فيه التعليم ويستعان فى تحصيله بالتقرب للشيطان بإرتكاب القبائح ، وبهذا يتضح لنا أن السحر ليس بخارق للعادة وإنما قد يشبه الخارق لإختفاء سببه ودقة مأخذه .

إذ لو كان خارقا لكان مساويا للمعجزة ، ولا أدى ذلك إلى إبطال دلالة المعجزة .

---

(١) انظر النبوات لإبن تيمية صـ ٢٢

ثالثاً : المعجزة لاتنال بالكسب والتعلم وأما السحر فقد ينال بالكسب والتعلم . وبيان هذا أن المعجزة تخالف السحر فى طريق حصولها فلا تحصل المعجزة بالطلب أو الكسب أو الإحتيال والتعلم لأنها منحة الهية وهبة ربانية يظهرها الله تصديقاً لأنبيائه المرسلين فهى تقع على وجه قد لاتدركه العقول البشريه وهذا السر فى عدم دخولها فى أطار الكسب والتعلم لأن مالاتدركه العقول لا يمكن تحصيله بالتعلم ولا بغيره ، فكذلك لا يمكن وقوعه عن طريق العباد وهذا بخلاف الأمور السحرية فإنها قد تنال بالكسب والتعلم لأنها داخلة فى أفعال العباد ولها أسباب معروفة تدركها العقول وتستوعبها الأفهام لمن طلبها وسعى فى تحصيلها فهى بالتالى تعتبر فى تعداد الأسباب الكونية العاديه التى جرت العادة الآلهيه بترتيب مسبباتها على أسبابها .

يقول بن تيميه : وآيات الأنبياء لا يقدر أحد أن يتوصل إليها بسبب والسحر والكهانة مما يمكن التوصل إليه بسبب(١) .

فن أراد أتقانها سلك مسالك أهلها واجتمع بعلميها فيحقق نتائجهم أو يتفوق عليهم ، فهى فنون تلزم روادها بالتفرغ والتعلم والمزاولة(٢) .

وبهذا نعلم أن كيفية حصول المعجزة تحار فيها العقول وتكل عنها الأفهام، فهى إذا بعيدة المنال بطرق الكسب والإحتيال وأما السحر فهو غريب المأخذ سهل المنال لأن أسبابه معروفة وطرقه مفهومة وليس فيه أعجاز للعقول وأن عجزت عنه بعض العقول فلا تعجز عنه جميعها .

رابعاً : المعجزة قابلة للبقاء أمداً طويلا وأما السحر فهو سريع الزوال وبيان ذلك أن المعجزة لما كانت بانجاز الله وتأييده وفى دائرة عرفه

---

(١) أنظر النبوات لابن تيميه ص ٢٩٦

(٢) أنظر المعجزة الخالدة لحسن ضياء الدين ص ٤٥

وسلطانه عز وجل كانت قابلة للبقاء حسب إرادته ومشيئته تعالى وهو الذى تفرد بالبقاء المطلق وله الخلق والإختيار ، فلا يبعد إذا أن تكون المعجزة قابلة للبقاء على مر العصور بدون تغيير ولا تبديل ، وهذا ما يناقض السحر فإنه يستحيل عليه البقاء لأنه تأييد القابل للفناء وكيف يعطى غيره البقاء وهو لا يملكه لنفسه .

يقول الشعرانى : فإن قلت ... فما الفرق بين المعجزة والسحر والشعبذة (فالجواب) كما قاله الشيخ أبو طاهر رحمه الله أن الفرق بين المعجزة والسحر ونحوه أن المعجزة تبقى هى أو أثرها بعد النبي زمانا والسحر سريع الزوال(١) .

وإن كان فى كلام الشعرانى مايوهم أن ذلك فى كل معجزة إلا أنا لم نقل بهذا بل قلنا أنها قابلة للبقاء لا واقعة فى كل معجزة ، والمثال على ذلك هو المعجزة القرآنية .

خامسا : أن المعجزة تزداد وضوحا وجلالا مع الإشتهار ، وأما السحر فبالاشتهار ينكشف زيفه ويزداد وباله ، وبيان ذلك أن المعجزة لما كانت بإذن الله وبتأييده كانت مستنيرة بنور الله تعالى فكلما ظهرت للعباد وانكشفت أسرارها أزدادت وضوحاً وبياناً وجمالا لما يتجلى عليها من النور الإلهى وهذا ما يناقض السحر فإنه لما كان يستمد ظلامة من ظلام الساحر كان كلما ظهر ازداد ظلاماً وبطلانا وقبحا .

وبهذه الفوارق تتجلى لنا مكانة المعجزة من السحر وأن السحر بجانب المعجزة شيء سخيف وهزيل لا يشبهها على وجه الحقيقة فى شيء ، وقد اعترف بذلك علماء السحر ورواده لما شاهدوه بجانب السحر وأيقنوا أن

---

(١) انظر اليواقيت والجواهر للشعرانى جـ ١ ص ١٦١

لا مستقر للسحر بجانب المعجزة عندئذ خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ، وأنابوا إلى الله مستغفرين(١) .

قال المازرى والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل أنها تقع غالبا اتفاقا ، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدى .

ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، ونقل النووى فى زيادات الروضه عن المتولى نحو ذلك ، (هذا) وينبغى أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه فإن كان متمسكا بالشريعة متجنباً للموبقات فالذى يظهر على يده من الخوارق كرامة وإلا فهو سحر لأنه ينشأ من أحد أنواعه كإعانة الشياطين .

موقف المنكرين لحقيقة السحر وتأثيره من الحديث الذى رواه البخارى فى سحر النبى ﷺ :

أنكر بعض المبتدعه الحديث الذى رواه البخارى والذى يفيد أن لبيد ابن الأعصم قد سحر النبى ﷺ وأن سحره أثر فيه عليه الصلاة والسلام ، وزعموا أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها ، وقالوا كل ما أدى إلى ذلك فهو باطل ، وزعموا أن تجويز هذا يؤدى إلى عدم الثقه بما شرعه محمد من الشرائع إذ يحتمل على هذا أن يخيل إليه أنه يرى جبريل وليس هو ، ثم أنه يوحى إليه بشيء ولم يوح إليه بشيء .

ويرد على ما استدل به هؤلاء بأن الدليل قد قام على صدق النبى ﷺ فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته فى التبليغ ، والمعجزات شاهدة بتصديقه

---

(١) انظر سورة طه الآيات ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٣

وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التى لم يبعث لأجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو فى ذلك عرضة لما يتعرض له البشر كالأمراض فغير بعيد أن يخيل إليه فى أمر من أمور الدنيا مالا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك فى أمور الدين .

قال المازرى وقد قال بعض الناس إن المراد بالحديث أنه كان ﷺ يخيل إليه أنه يطىء زوجاته ولم يكن وطأهن وهذا كثيراً ما يقع تخيله الإنسان فى المنام فلا يبعد أن يخيل له فى اليقظة.

قال الحافظ بن حجر وقد ورد هذا صريحا فى روايه بن عيينه ولفظها (حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن وفى رواية الحميدى أنه يأتى أهله ولا يأتيهم(١) .

وممن أنكروا صحة هذا الحديث الإمام محمد عبده عند تفسيره بسورة الفلق فقد أنكر الحديث وأنكر تأثير السحر مطلقاً فى النبى ﷺ وقال أنه يخل بمقام النبوة بل أنكر أن للسحر حقيقة وتأثيراً مطلقا فقال أن المراد بالنفاثات فى العقد فى قوله تعالى (ومن شر النفاثات فى العقد) النمامون المقطعون لروابط الألفة المحرقون لها بما يلقونه من ضرام نمائمهم.

وإنما جاءت العبارة فى الآية لأن الله تعالى جل شأنه أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين الذين إذا أرادوا أن يحلوا عقدة المحبه بين المرء وزوجه مثلا فيما يوهمون به العامة عقـــدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلوها ليكون ذلك حلاً للعقدة التى بين الزوجين .

وقد عقد مقارنة بين النميمة والسحر فقال : ــ النميمة تشبه أن تكون ضربا من السحر لأنها تحول مابين الصديقين من محبة إلى عداوة بوسيلة

---

(١) فتح البارى جـ ١٢ ص ٣٥٧

خفية كاذبة ، والنميمة تضلل بين الصديقين كما يضل الليل من يسير فيه بظلمته ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق إذا وقب ولا يسهل على أحد أن يحتاط ولهذا التحفظ من النمام فإنه يذكر عنك ما يذكر لصاحبك وأنت لا تعلم ماذا يقول ولا ما يمكن أن يقول .

وإذا جاءك فرعا دخل عليك بما يشبه الصدق حتى لا يكاد يمكن تكذيبه فلابد لك من قوة أعظم من قوتك تستعين بها وهى قوة الله، وبعد أن قارن بين النميمة والسحر عبر عن رأيه فيم روى أن النبي ﷺ سحر وأثر فيه السحر فقال: وقد رووا هنا أحاديث أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأثر سحره فيه حتى كان يخيل إليه إنه يفعل الشيء وهو لايفعله ، أو يأتى شيء وهو لا يأتيه وأن الله انبأه بذلك وأخرجت مواد السحر من بئر وعوفى ﷺ مما كان نزل به من ذلك ونزلت هذه السورة ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه السلام حتى يصل به الأمر إلى أنه يظن أنه يفعل شيئا وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل آخذ للروح وهو ما يصدق فيه قول المشركين (إن تتبعون إلا رجــلا مسحوراً) وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه .

وقد وقع فى خلد كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ماهى النبوة ولا ما ينبغى لها أن الخبر بتأثير السحر قد صح فيلزم الإعتقاد به وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من أنكار السحر وقد جاء القرآن بصحة السحر فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة نعوذ بالله يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ويعرض عن القرآن فى نفية عنه ﷺ وعده من افتراء المشركين عليه .

ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك مع أن الذى قصده المشركون ظاهر لأنهم كانو يقولون أن الشيطان يلابسه عليه السلام — وملابسة الشيطان

تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه ، وهو بعينه أثر السحر الذى نسب إلى لبيد بن الأعصم فإنه قد خالط عقله وإدراكه فى زعمهم ثم قال والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذى يجب الإعتقاد بما يثبته وعدم الإعتقاد بما ينفيه .

وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فإذن هو ليس بمسحور قطعاً ، ثم بين موقفه من الحديث فقال :

١ — وأما الحديث على فرض صحته فهو آحاد والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين ولا يؤخذ فيها بالظنى والمظنون .

٢ — على أن الحديث الذى يصل إلينا عن طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الأدلة على أنه ليس بصحيح فلا تقوم به عليه حجة .

٣ — وعلى أى حال علينا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فإنه إذا خولط النبى فى عقله كما زعموا جاز عليه أنه يظن أنه بلغ شيئاً وهو لم يبلغه ، أو أن شيئاً نزل عليه وهو لم ينزل عليه ، والأمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان .

٤ — ثم إن نفى السحر عنه لا يستلزم نفى السحر مطلقاً فربما جاز أنه يصيب السحر غيره بالجنون نفسه ، ولكن من المحال انه يصيبه لأن الله عصمه ثم قال على أن نافى السحر بالمرة لا يجوز أنه يعد مبتدعا لأن الله تعالى ذكر ما يعتقد به المؤمنون فى قوله تعالى (آمن الرسول) وفى غيرها من الآيات ووردت الأوامر بما يجب على المسلم أن يؤمن به حتى يكون مسلما ولم يأتى فى شىء من ذلك ذكر السحر على أنه مما يجب الإيمان بثبوته أو وقوعه على

الوجه الذي يعتقد به الوثنيون كل في ملة بل الذي ورد في الصحيح وأن تعلم السحر كفر فقد طلب منا أن لا ننظر بالمرة فيما يعرف عند الناس بالسحر ويسمى باسمه .

ثم بين رأيه في المراد بالسحر في القرآن فقال :

جاء ذكر السحر في القرآن في مواضع مختلفة وليس من الواجب أن نفهم منه ما يفهم هؤلاء العميان فإن السحر في اللغة صرف الشيء عن حقيقته .

قال الفراء في قوله تعالى (أنى تسحرون) أي أنى تؤفكون وتصرفون. سحره وأفكه بمعنى واحد .

ثم قال وماذا علينا لو فهمنا من السحر الذي يفرق بين المرء وزوجه؟ تلك الطرق الخبيثة الدقيقة التي تصرف الزوج عن زوجه والزوجه عن زوجها ؟

وهل يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلم وتطلب له الأساتذة ونحن نرى أن كتبا ألفت ودروسا تلقى لتعليم أساليب التفرقة بين الناس لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات ثم بين السبب في ذكر المرء وزوجه والاقتصار عليهما فقال :

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل واظهار الأمر في أقبح صورة أي يقع من أمر ما يتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الافساد أن يتمكنوا من التفريق بين المرء وزوجه وسياق الآية لا يأباه وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك بعد أن سمى الله خبثاء الانس المنافقين بالشياطين قال (وإذا خلوا إلى شياطينهم) وقال (شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض) .

وللامام محمد عبده رأي في سحر سحرة فرعون نذكره اتماما لبيان رأيه في مسألة السحر كلها فهو يرى أن سحر سحرة فرعون كان ضربا من

ضروب الحيلة ولذا قال (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) وما قال انها تسعى بسحرهم قال يونس يقول العرب ما سحرك عن وجه كذا ؟ أى ما صرفك عنه .

ولم يرتض الاستاذ الإمام أن سورة الفلق نزلت فى سحر النبى ﷺ وأيد ما ذهب إليه بما روى عن بعض الصحابه والتابعين أن المعوذتين مكيتان فقال :

وكيف يصح أن تكون هذه السورة (أى سورة الفلق) نزلت فى سحر النبى ﷺ مع أنها مكيه فى قول عطاء والحسن وجابر وفى رواية كريب عن ابن عباس — وما يزعمونه من أن السحر انما وقع فى المدينه . ولكن من تعود القول بالمحال . لا يمكن الكلام معه بحال نعوذ بالله من الخبال . ا هـ (١)

وما ذهب إليه الاستاذ الامام غير مسلم لأن انكار السحر من حيث هو أمر لا نسلمه له أولا لأن السحر ثابت بنص القرآن فى شأن سحر سحرة فرعون وفى شأن هاروت وماروت وقد كان موسى عليه السلام يخيل إليه من سحرهم أن حبالهم وعصيهم تسعى ، ولهذا أوجس فى نفسه خيفة منهم .

ثانيا : قد ثبت ضرر السحر إذا شاء الله وذلك بنص القرآن (وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله) وقد ينتهى الاضرار إلى الصرع أو الانهيار العصبى أو الجنون .

ثالثا : نقل تلميذه الشيخ رشيد رضا وقائع عجيبة عن السحر فى الهند والتبت فى كتابه (الوحى المحمدى) نقلا عن كتاب (العالم غير المنظور) للدكتور الكسندر الطبيب الانجليزى بمستشفى الامراض النفسيه بلندن ، لهذا كان لا ينبغى للاستاذ الامام أن ينفى السحر بصفة عامة ويؤول ما جاء منه فى القرآن بضروب الحيل وطرق الافساد مع أنه ثابت فى الواقع وله

---

(١) انتهى ملخص من تفسير جزء عمه للشيخ محمد عبده ص ١٨٣ ، ١٨٥

الآثار الضارة وقد كان معروفا عند قدماء المصريين صناعة لأهل بابل وهو واضح فى قصة سحرة فرعون حيث أثر سحرهم فى الحبال والعصى بطريقة جعلت موسى عليه السلام يخيل إليـه انها تسعى فلما ألقى عصاه ابتلعت ما سحروه(١) .

ولما تفسيره السحر الذى يفرق به بين المرء وزوجه بالنميمة فهو ضرب من التأويل المبالغ فيه وما دام الله تعالى أخبر أن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وأن الناس تعلموا من الملكين هاروت وماروت ما يفرقون به بين المرء وزوجه . فليس هناك مجال لتأويل هذا الذى سماه سحرا بالنميمة فلو كان من باب النميمة لعرفه القرآن بذلك ولو سلمنا أن سحر سحرة فرعون كان من باب التخيل فلا يصح هـــذا دليل على نفى وجود السحر وتأثيره بالكلية .

وأما انكار الاستاذ الامام لحديث سحر النبى ﷺ فقد خالف به فى ذلك جمهور علماء المسلمين ولم يقل به الا المعتزلة وقلة من غيرهم والحديث ثابت فى صحيح البخاري وغيره من كتب السنة والتشكيك فى ما صحت روايته من الحديث أمر خطير لانه يفتح الباب لاعداء الاسلام كى يشككوا ويطعنوا فى السنة المطهرة وهى المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم .

وقد خالفه فى موقفه من الحديث تلميذه الشيخ رشيد رضا قال فى تفسيره للفاتحة والسور الست القصار ص ١٣٩

وقد بحثت هذه المسألة مرارا ، آخرها فى الرد على مجلة علوم الأزهر (نور الإسلام) فى زعمها المفترى انى كذبت حديث البخارى فى سحر النبى ﷺ فبينت أن الحديث الصحيح فى هذه المسألة عن عائشة رضى الله عنها ، توهم بعض رواياته ما هو أعم من المعنى الخاص الذى أرادته وهو مباشرة الزوجية بين النبى ﷺ وبينها فنقول :

---

(١) قصة السحر والسحرة ص ٢٣٥

كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله كناية عن هذا الشيء الخاص لا العام في كل شيء فلا يدخل في شيء من أمور التشريع ولا غير غشيان الزوجه من الأمور العقليه أو الاعراض البدنيه فضلا عما كان يريد الذين يرمون الأنبياء بالسحر والجنون لأن أمورهم فوق المعقول عند أولئك الكافرين فالمسأله محصورة فيما يسمونه حتى الآن (الربط أو العقد) أي عقد الرجل المانع من مباشرة زوجته فقط ا هـ .

وقد ذهب أئمة الحديث الى أن غاية ما تدل عليه أحاديث السحر : — أن ذلك السحر أثر في بدنه ﷺ دون روحه وعقله ، فكان تأثيره من الأعراض الجسديه التى لم يعصم منها الانبياء .

وأما قول الاستاذ الامام أن المعوذتين مكيتان على قول بعض الصحابه والتابعين فيجاب عنه بأن لامانع من تكرر نزولهما بمكة مره وبالمدينة مره بعد استخراج ما صنعه لبيد بن الاعصم من سحر النبي ﷺ من البئر .

وقد فسر الحسن البصري النفاثات بالسواحر أخرجه الطبري بسند صحيح وذكره أبو عبيده أيضا في المجاز قال النفاثات «السواحر» واخرج الطبري أيضا عن جماعة من الصحابه وغيرهم أن النفث في العقد هو السحر .

وقد وقع في حديث ابن عباس فيما أخرجه البيهق في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي ﷺ أنهم وجـــدوا وترا فيه احدى عشرة عقده ، وأنزلت سورة الفلق والناس وجعل كلما قرأ آية انحلت عقده وأخرجه ابن اسحاق بسند آخر منقطع عن بن عباس أن عليا وعمارا لما بعثهما النبي ﷺ لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه . وهاتان الروايتان تدلان على أن المعوذتين قد نزلتا بالمدينة وعلى أن المراد بالنفاثات في العقد السواحر اللاتي يعقدن العقد وينفثن فيها بقصد السحر .

ولا حجة للأستاذ الإمام وغيره ممن قالوا بأن السحر تخيل لا حقيقة له بقوله تعالى في شأن سحرة فرعون (يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) لأنها وردت في قصة سحرة فرعون وكان سحرهم كذلك ولا يفهم منه أن جميع أنواع السحر تخيل . وممن ذهبوا إلى أن سحر سحرة فرعون كان ضربا من ضروب التخيل أبوبكر الجصاص فقد قال في كتابه أحكام القرآن أخبر الله تعالى أن الذى ظنه موسى من أنها تسعى لم يكن سعياً وإنما كان تخيلا وذلك أن عصيهم كانت مجوفة وقد ملئت زئبقاً وكذلك الحبال كانت من أدم محشوة زئبقاً وقد حفروا قبل ذلك أسرابا وجعلوها آزاجا وملؤها ناراً فلما طرحت على ذلك الموضع وحمى الزئبق حركها لأن من شأن الزئبق إذا أصابه النار أن يطير فلما أثقلته كثافة الحبال والعصى صارت تتحرك بحركته ، فظن من رآها أنها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة .

الرأى الراجح :

وبعد أن ذكرت أدلة المثبتين لحقيقة السحر وأثره وأدلة القائلين بأن لا حقيقة له ولا تأثير .

أستطيع القول أن الرأى الراجح هو رأى الجمهور وهو أن السحر له حقيقة وله تأثير على النفس والجسم فإن إلقاء البغضاء بين الزوجين والتفريق بين المرء وأهله الذى أثبته القرآن الكريم ليس إلا أثراً من آثار السحر ولو لم يكن للسحر تأثير لما أمر القرآن بالتعوذ من شر النفاثات فى العقد وكثيراً ما يكون هذا السحر بالاستعانة بأرواح الشياطين فنحن نقر بأن له أثراً وضرراً ، ولكن أثره وضرره لا يصلان إلى الشخص إلا بإذن الله فهو سبب من الأسباب الظاهرة التى تتوقف على مشيئة مسبب الأسباب رب العالمين جل وعلا .

ونقر أيضاً أن منه ما يدخل فى التخيل والإيحاء النفسى وقد مر فى

ثانيا هذا البحث الفرق بين السحر والكرامة والمعجزة بما يرد استدلال المنكرين له بأن القول بأن للسحر حقيقة وتأثير يؤدى لاختلاطه بالمعجزة والكرامة وإلى احتمال ورود الكذب على خبر الأنبياء .

قال القرطبى لا ينكر أحد أن يظهر على يد الساحر خرق للعادات بما ليس فى مقدور البشر من مرض وتفريق وزوال عقل وتعويج عضو إلى غير ذلك مما قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات البشر، قالوا ولا يبعد فى السحر أن يستدق جسم الساحر حتى يلج فى الكوات والخوخات والانتصاب على رأس قصبة والجرى على خيط مستدق والطيران فى الهواء والمشى على الماء وركوب كلب وغير ذلك، ومع ذلك فلا يكون السحر موجباً لذلك ولا علة لوقوعه ولا سبباً مولداً ولا يكون الساحر مستقلا به وإنما يخلق الله تعالى الأشياء ويحدثها عند وجود السحر كما يخلق الشبع عند الأكل والرى عند شرب الماء . ثم قال : أجمع المسلمون على أنه ليس فى السحر ما يفعل الله عنده من إنزال الجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقلب العصا وإحياء الموتى وإنطاق العجماء وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم السلام فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون ولا يفعله الله عند إرادة الساحر(١) .

وقال أبو حيان اختلف فى حقيقة السحر على أقوال :

الأول : أنه قلب الأعيان واختراعها بما يشبه المعجزات والكرامات كالطيران وقطع المسافات فى ليلة .

الثانى : أنه خدع وتمويهات وشعوذة لا حقيقة لها ، وهو قول المعتزلة .

الثالث : إنه أمر يأخذ بالعين على وجه الحيلة كما فعل سحرة فرعون حيث كانت حبالهم وعصيهم مملوءة زئبقاً ، فجروا تحتها نارا فحميت الحبال والعصى وتحركت وسعت .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن جـ٢ ص ٤٧

الرابع : أنه نوع من خدمة الجن والاستعانة بهم وهم الذين استخرجوه من جنس لطيف فلطف ودق وخفى .

الخامس : أنه مركب من أجسام تجمع وتحرق ويتلى عليها أسمـــاء وعزائم ، ثم تستعمل فى أمور السحر .

السادس : أن أصله طلسمات تبنى على تأثير خصائص الكواكب ، أو استخدام الشياطين لتسهيل ما عسر .

السابع : أنه مركب من كلمات ممزوجة بكفر وقد ضم إليها أنواع من الشعبذة والنارنجيات والعزائم وما يجرى مجرى ذلك .

ثم قال : وأما فى زماننا الآن فكل ما وقفنا عليه فى الكتب فهو كذب وافتراء ولا يترتب عليه شىء ، ولا يصح منه شىء البتة ، وكذلك العزائم وضرب المندل والناس يصدقون بهذه الأشياء ، ويصغون إليها(١) .

ونقل بن حجر عن المازرى قوله (جمهور العلماء على إثبات السحر ، وأن له حقيقة ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منهم إلى خيالات باطلة وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر(٢) .

هل يباح تعلم السحر وتعليمه :

ذهب بعض العلماء إلى أن تعلم السحر مباح واستدلوا بتعليم الملكين : هاروت وماروت السحر الناس كما حكى القرآن الكريم ذلك ، وممن ذهبوا إلى هذا الرأى الفخر الرازى من علماء أهل السنة .

قال رحمه الله اتفق المحققون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور

(١) تفسير البحر المحيط جـ ١ ص ٣٢٧
(٢) فتح البارى جـ ٢١ ص ٣٥٢

لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى : (هل يستوى الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون) .

ولو لم يعرف السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة . فكيف يكون تعلمه حراما وقبيحاً ، ونقل بعضهم وجوب تعلمه على المفتى حتى يعلم ما يقتل به وما لا يقتل به . فيفتى به فى وجوب القصاص . وقد عقب الألوسى على ماقاله الفخر الرازى رحمه الله فقال : — والحق عندى الحرمة تبعاً للجمهور ، إلا لداعى شرعى ، وفيما قاله الإمام الرازى رحمه الله نظر .

فأما أولا : فلأن لا ندعى أنه قبيح لذاته وإنما قبحه لما يترتب عليه ، وتحريمه من باب سد الذرائع وكم من أمر حرم لذلك .

وأما ثانياً : فلأن توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوع ، ألا ترى أن أكثر العلماء أو كلهم عرفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر ولو كان واجباً لرأيت أعلم الناس به الصدر الأول .

وأما ثالثاً : فلأن ما نقل عن بعضهم غير صحيح لأن إفتاء المفتى بوجوب القود أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر لأن صورة إفتائه على ما ذكره العلامة ابن حجر إن شهد عدلان عرفا السحر وتابا منه أنه يقتل غالباً قتل الساحر وإلا لم يقتل(١) .

هذا وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين :

١ — إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره .

٢ — وإما لإزالته عمن وقع فيه .

فأما الأول فلا محظور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإذا سلم الإعتقاد فمعرفته للشيء بمجرده لا تستلزم منعاً كمن يعلم كيفية عبادة أهل الأوثان

---

(١) روح المعانى للألوسى ج ١ ص ٣٣٩

للأوثان ، لأن كيفية ما يعلمه الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل بخلاف تعاطيه والعمل به .

وأما الثانى : فإن كان لا يتم إلا كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلا وإلا جاز للمعنى المذكور .

وذهب الجمهور إلى حرمة تعلم السحر أو تعليمه لأن القرآن الكريم قد ذكره فى معرض الذم ، وبين أنه كفر فكيف يكون حلالا ، كما أن رسول الله عليه الصلاة والسلام عده من الموبقات كما فى الحديث الصحيح وهو قوله صلوات الله وسلامه :

(اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا وما هن يا رسول الله ؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

قال بن حجر وقد استدل بقوله تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين) على أن السحر كفر ومتعلمه كافر .

وقال النووى عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع وقد عده النبى ﷺ من السبع الموبقات ، ومنه ما يكون كفرا ومنه مالا يكون كفرا بل معصية كبيرة ، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر ، وإلا فلا . وأما تعليمه فحرام ا . هـ(١)

وقال أبو حيان وأما حكم السحر فما كان منه يعظم به غير الله من الكواكب والشياطين وإضافة ما يحدثه الله إليها فهو كفر إجماعا لا يحل تعلمه ولا العمل به وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء والتفريق بين الزوجين والأصدقاء .

وأما إذا كان لا يعلم منه شيء من ذلك بل يحتمل فالظاهر أنه لا يحل تعلمه ولا العمل به ، وما كان من نوع التخيل والدجل والشعبذة فلا ينبغى

---

(١) فتح البارى جـ ٢١ صـ ٣٥٤

تعلمه لأنه من باب الباطل ، وإن قصد به اللهو واللعب وتفريج الناس على خفة صنعته فيكره اهـ)(١) .

ورأى الجمهور هو الصحيح لأن القول بجواز تعلم السحر وتعليمه يفتح على الناس أبواب من الشر يجب أغلاقها ، وقد يؤدي إلى إنشغال سفهائهم به زاعمين أن الشرع يبيح لهم ذلك وأيضا أباحة تعلمه وتعليمه فيها إفساح المجال للدجالين والمشعوذين للعبث بالأمه وصرف الناس عن الطريق المستقيم وهو طريق القرآن والسنة اهـ .

هل يعد الساحر كافرا وهل يجب قتله

إختلف الفقهاء فى حكم الساحر فروى عن أبي حنيفة أنه قال : الساحر يقتل إذا علم أنه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله أنى أترك السحر وأتوب منه فإذا أقر أنه ساحر فقد حل دمه . وكذلك العبد المسلم والحر الذى من أقر منهم أنه ساحر فقد حل دمه وهذا كله قول أبو حنيفة .

وقال بن شجاع فحكم فى الساحر والساحرة حكم المرتد والمرتدة وقال نقلا عن أبي حنيفة أن الساحر قد جمع مع كفره السعى فى الأرض بالفساد والساعى بالفساد إذا قتل قتل .

وروى عن مالك فى المسلم إذا تولى عمل السحر قتل ولا يستتاب لأن المسلم إذا أرتد باطنا لا تعرف توبته باظهارة الإسلام فأما ساحر أهـــل الكتاب فأنه لا يقتل عند مالك إلا أن يضر بالمسلمين فيقتل .

وقال الشافعى لا يكفر بسحره فإن قتل بسحره وقال سحرى يقتل مثله ، وتعمد ذلك قتل قودا وإن قال قد يقتل وقد يخطىء لم يقتل وفيه الديه .

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان جـ ١ ص ٣٢٨

وقال الإمام أحمد يكفر بسحره قتل به أولم يقتل ، وهل تقبل توبته عنه فى ذلك روايتان :

فأما ساحر أهل الكتاب فإنه لا يقتل إلا أن يضر بالمسلمين (١) .

وقد إختار البخارى القول بكفر الساحر لقوله تعالى (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر ، وكذا قوله فى الآية عن لسان الملكين (إنما نحن فتنة فلا تكفر) فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر فيكون العمل به كفر اهـ (٢) .

وقال بن حجر وقد إستدل بقوله تعالى (واتبعوا ماتتلوا الشياطين) على أن السحر كفر ومتعلمه كافر ، وهو واضح فى بعض أنواعه التى قدمتها وهو التعبد للشياطين أوالكواكب وأماالنوع الآخر الذى هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلا .

وقال النووى عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد عده النبى صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات ومنه ما يكون كفرا ، ومنه مالا يكون كفرا بل معصية كبيرة فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر وإلا فلا .

وأما تعلمه وتعليمه فحـــرام ، فإن كان فيه ما يقتضى الكفر كفر واستتيب منه وإلا يقتل ، فإن تاب قبلت توبته وإن لم يكن فيه مايقتضى الكفر عذر .

وقد إستدل من ذهبوا إلى عدم كفر الساحر بقوله تعالى (ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقالوا إن فى الآية نفى الفلاح عن الساحر وليست فيه دلالة على كفر الساحر .

---

(١) الآلوسى جـ ١ صـ ٣٤٠

(٢) فتح البارى جـ ٢٩ صـ ٣٥٤ الكليات الأزهرية .

وإن كثر فى القرآن إثبات الفلاح للمؤمن ونفيه عن الكافر ولكن ليس فيه ما ينفى الفلاح عن الفاسق وكذا العاصى .

وخلاصة آراء الأئمـــة فى هذه المسألة أن أبا حنيفة يذهب إلى كفر الساحر ويبيح قتـــله ولا يستتاب عنده ، والساحر الكتابى حكمه كالساحر المسلم .

أما الشافعى فيقول بعدم كفر الساحر ولا يقتل عنده إلا إذا تعمد القتـــل .

وأما مالك : فيرى قتل الساحر المسلم لا ساحر أهل الكتاب ويحكم بكفر الساحر .

هذا وقد حذر الإسلام من تعاطى السحر للأذى وجاءت تعاليمه بذمه وتحريمه وتوعد مرتكبه بالعقوبات الأليمه فى الحديث الشريف (حد الساحر ضربه بالسيف) .

وهذه هى أدلة القائلين بكفر الساحر :

١ — ماروى عن نافع عن بن عمر أن جارية حفصة سحرتها وأخذوها فاعترفت بذلك، فأمرت عبد الرحمن بن زيد فقتلها، فبلغ ذلك عثمان فأنكره فأتاه بن عمر وأخبره أمرها ، فكأن عثمان إنمـــا أنكر ذلك لأنها قتلت بغير إذنه .

٢ — ماروى عمرو بن دينار أنه ورد كتاب عمر رضى الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، فقتلنا ثلاث سواحر .

٣ — قال على بن أبى طالب أن هؤلاء العرافين كهان العجم ، فمن أتى كاهنا يؤمن له بما يقول فقد برىء مما أنزل الله على محمد ﷺ .

أما القائلون بعدم كفر الساحر فقد احتجوا بأن الساحر اليهودى لايقتل لأنه عليه الصلاة والسلام سحره رجل من اليهود يقال له لبيد

ابن الأعصم وامرأة من يهود خيبر يقال لها — زينب — فلم يقتلهما فوجب أن يكون المؤمن كذلك ، لقوله عليه الصلاة والسلام (لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين) .

وأجابوا عن استدلال القائلين بأن عمر أمر بقتل السحرة فقالوا لعل السحرة كانوا من الكفرة فإن حكاية الحال يكفى فى صدقها صورة واحدة .

هل يستخرج السحر أم لا :

ذهب سعيد بن المسيب إلى جواز استخراج السحر قال قتادة قلت لسعيد بن المسيب : رجل به طب أو يأخذ عن امرأته أيحل عنه أو ينشر؟ قال لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما نفع فلم ينه عنه .

وأخرج الطبرى فى التهذيب عن طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأسا إذا كان بالرجل سحر أن يمشى إلى من يطلق عنه ، فقال هو صلاح .

وقد سئل الإمام أحمد عمن يطلق السحر عن المسحور فقال لا بأس به وهذا هو المعتمد .

وذهب الحسن البصرى إلى كراهة ذلك وكان يقول لا يعمله إلا ساحر وقد أخرج أبو داود فى المراسيل عن الحسن رفعه (النشرة من عمل الشيطان) ووصله أحمد وأبو داود بسند حسن عن جابر قال بن الجوزى النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر .

وقد أجاب المجيزون لاستخراج السحر والسعى إلى إبطاله عن الحديث الذى رواه الحسن بأن قوله النشرة من عمـــل الشيطان إشارة إلى أصلها ، ويختلف الحكم بالقصد . فمن قصد بها خيرا كان خيرا وإلا فهو شر .

وقالوا أن الحصر المنقول عن الحسن فى قوله لا يعمل ذلك إلا ساحرا ليس على ظاهره لأن السحر قد يحل بالرق والأدعية والتعويذ . ولكن يحتمل أن تكون النشرة نوعين :

ويوافق قول سعيد بن المسيب حديث جابر عند مسلم مرفوعا (من أستطاع أن ينفع أخاه فليفعل) .

ويؤيد مشروعية النشرة حـــديث قوله ﷺ العين حق فى قصة أغتسال العائن .

وقد أخرج عبد الرازق من طريق الشعبى قال لا بأس بالنشرة العربية التى إذا وطئت لا تضيره ، وهى أن يخرج الإنسان فى موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل . ثم يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به . وذكر ابن بطال أن فى كتب وهب ابن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى والقواقل (المعوذتين والأخلاص) . ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فأنه يذهب عنه كل مابه وهو جيد للرجل إذا احتبس عن أهله .

وقال بن كثير بعد أن ذكر هـذه الفائده وأنفع ما يستعمل لأذهاب السحر ما أنزل الله على رسوله فى أذهاب ذلك وهما المعوذتين .

وفى الحديث (لم يتعوذ بمثلها) . وكذلك قرأة آية الكرسى فأنها مطردة للشيطان .

وممن صرحوا بجواز النشرة المازنى صاحب الشافعى وأبو جعفر الطبرى وغيرهما .

والله أعلم

الخاتمــــة

هذا .. ومما هو غنى عن البيان أن أذكر أن الكتاب والسنة قد جاء فيهما ما يفيد ذم السحر والسحرة، وما يدعوا المسلمين إلى عدم تصديق الدجالين والمشعوذين . فلو كان هؤلاء يستطيعون نفعاً . لنفعوا أنفسهم. والواقع المشاهد يدلنا على أن الذين يشتغلون بالسحر والشعوذة تكون نهايتهم سيئة وخاتمة حياتهم بؤس وعقله ومهما جمعوا من مال فإنهم يموتون فقراء . وترى وجوههم دائماً عليها غبرة ، ترهقها قترة .

وصدق الله العظيم القائل (ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال الإمام على كرم الله وجهه (من أتى كاهناً يؤمن له بما يقول فقد برىء مما أنزل الله على محمد ﷺ) . وقد عد الرسول ﷺ السحر من السبع الموبقات أى المهلكات .

هذا وقد وردت كلمة (سحر) ومشتقاتها فى القرآن الكريم نحو إثنين وستون مرة . وقد أفاض القرآن الكريم فى الحديث عن سحرة فرعون كما جاء فى سورة البقرة الحديث عن سحر هاروت وماروت . ولو لا ضيق المقام لتناولت الآيات التى تحدثت عن سحرة فرعون وعن هاروت وماروت بشىء من التفصيل .

وأسأل الله التوفيق والسداد . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

دكتور

عبد المنعم ممدوح رماح